ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره في الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ واكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء . ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر . وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة . واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارقى من بشر الارض او ادنى اخلاقاً . وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والاودية بلا زرع ولا ضرع . ورجال تُسدُّ ابواب الحياة في وجوههم فيجعلون انفسهم فوضويين . ونساء لا تعتني الهيئة الاجتماعية بهنَّ و باولادهن فيبعن شرفهن ليأكلن به خبزاً . ورؤساء شرهون لا همّ لهم غير انفسهم . ومرؤوسون ضعفاء يُساقون بالسياط كالانعام السائمة . وكل شيء فيها صغير وضيع في نظر اهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيء من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

﴿ حافظ افندي ابرهيم ﴾

اذا كان احمد بك شوقي متنبي مصر فان حافظ افندي ابرهيم ابو تمامها . واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي ننشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره في شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قمم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه باسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمتَ صحة التشبيه الذي تقدم . فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سبّاق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابرهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائقة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً . ومما قاله فيها ان « خير الشعر ما سبق دبيبه في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال فاراها جميلاً وهو يرنو الى بثينة ويقول

وكم قلتُ في شعري لكم وصبابتي ... احاديث شوق شرحهنَّ يطول
فان لم يكن قولي رضاكِ فعلمي ... نسيم الصبا يا بثن كيف اقول

والمجنون وهو يضرع الى ليلاه وينشد

عليَّ اليَّةٌ ان كنت ادري اينقص حبُّ ليلى ام يزيدُ

واراها عبد بني عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الارواح وينادي

ليَ النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

والشريفَ الرضي متربعاً في ناديه يُطالع في صحيفة انسابه جريدة احسابه وهو يشتمُّ من لحيته ريح الخلافة ويخاطب صاحبها بقوله

مهلاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرَّق

وشيخ المعرة وابا الطيب بجانبه يستصبح كلاهما بنور صاحبه واسمعها الاول وهو يقول

ويدُلني ان الممات فضيلة كونُ الطريق اليه غير ميسر

والثاني وهو ينشد

الف هذا الهواء اوقع في الانـ ـفس ان الحمام مرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ والاسى لا يكون بعد الفراق

وهذا الديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة التمدن في العاصمة على ورق جيد وقد شرحه جناب محمد افندي هلال ابرهيم شرحاً مفيداً لا يخلو من بعض النكات . منها ان صاحب الديوان قال في باب الخمريات

اطلق الشمس من غياهب هذا الدنّ واملأ من ذلك النور كأسي

وأذنِ الصبح ان يلوح لعيني من سناها فذاك وقت التحسي

واسقنا ياغلام حتى ترانا لا نطيق الكلام الا بهمسِ

فقال الشارح في شرحه « سئل بعضهم اي بيتٍ اذا سمعته علمتَ ان قائله ملك قال قوله

اسقني من سلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديم كاساً عقارا

ولعمري لو سمع هذا البعض تلك الاوامر المتتالية لما شك في انها صادرة عن خليفة الخلفاء او سلطان السلاطين فلا كسرى في ايوانه ولا الرشيد في جلال ملكه وسعة سلطانه ولا الفاتح وقد سقط ملك الروم في قبضته ولا نابوليون وقد طأطأت ملوك الغرب الهام لسلطته وارتجت اركان الدنيا من رهبته باشد في الامر اشتطاطاً ولا اكثر في الحكم افراطاً من شاعرنا هذا »

وقال صاحب الديوان في الخمر ايضاً

مشمولة لولا النقي لعجبت من تحريمها والذنب للقدماء
قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما نزل الكتاب بحكمة وجلاء

قال الشارح « قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فلما عاد اليها بعضهم سكرانًا نزل قوله تعالى « انما يريد الشيطان ان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » فكان بذلك تحريمها »

وقال صاحب الديوان

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تُدعى برجس
هي نفس زكية وابوها غرسه في الجنان اكرم غرس

فقال الشارح « ناسف ويحق لنا الاسف ان يكون بين اقوال صديقنا هذا الباب الذي كثيرًا ما حدا به الى محاكاة ابي نواس في نكاته وخلاعاته الى حد ربما ظنه من لم يعرفه من زيغ العقيدة والازدراء باحكام الدين في شيء لا يُغتفر »

وقال صاحب الديوان

اذكروني عند كاسات الطلا انني كنتُ امام المدمنين
ربَّ ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا فاعلين
فقضيناه ولم نحفل بما سطَّرت ايدي الكرام الكاتبين

فقال الشارح في ذيله « لقد سئمت النفس وملَّ اليراع من الاشارة الى مثل هذا الهزل الذي نامل ان ينتهي بانتهاء هذا الباب »

اما مختارات هذا الديوان فمنها في مدح الجناب الخديوي المعظم

لم يبقِ احمدُ من قول احاوله في مدح ذاتك فاعذرني ولا تَعبِ
فلستُ ممن سمتْ بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتى العربي
لكن عيدك ياعباس انطقني كالبدر اطلق صوت البلبل الطرب
يا من توهم ان الشعر اعذبه في الذوق اكذبه ازريتَ بالادب
عذب القريض فريضٌ بات يعصمه ذكرُ ابن توفيق عن لغوٍ وعن كذب

وجعلت لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي المعظم جائزة للسابق من الشعراء فجاءتها قصائد كثيرة منها قصيدة لصاحب الديوان جاء في ختامها

قلْ للاولى جعلوا للشعر جائزة فيمَ الخلاف ألم يرشدكمُ اللهُ

اني فتحتُ لها صدرًا تليق به ... ان لم تحلوُّه فالرحمن حلاَّه
لم اخشَ من احد في الشعر يسبقني ... الا فتى ما له في السبق الاَّه
ذاك الذي حكمتْ فينا يراعته ... واكرمَ الله والعباس مثواه

وفي مدح الجناب الخديوي ايضًا

وانشدُ اشعاري وان قال حاسدي ... نعم شاعر لكنه غير مكثارِ
فحسبي من الاشعار بيتٌ ازينه ... بذكركَ ياعباس في رفع مقداري

وقال من قصيدة في وصف نادي صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

حللتُ دارًا بها تُتلى مناقبه ... ببابها ازدحمتْ للناس آمالُ
رايتُ فيها بساطًا جلَّ ناسجه ... عليه فاروق هذا الوقت يختالُ

وقال في الغزل من قصيدة يمدح بها محمود باشا سامي البارودي

تعمدتُ قتلي في الهوى وتعمدا ... فما اثمتْ عيني ولا لحظه اعتدى
كلانا له عذرٌ فعذري شبيبتي ... وعذرك اني هجتُ سيفًا مجرَّدًا
هوينا فما هنَّا كما هان غيرنا ... ولكننا زدنا مع الحبِّ سؤددا

ومنها في المدح

اعرني لمدحيك اليراع الذي به ... تخطُّ واقرضني القريض المسدَّدا
ومرْ كل معنى فارسي بطاعتي ... وكل نفور منه ان يتودَّدا
فاربو على ذاك الفخور بقوله ... (اذا قلت شعرًا اصبح الدهرُ منشدا)

وقال في مدح المرحوم سليمان باشا اباظه

سليمان ذكَّرتَ الزمان واهله ... بعز سليمان واقبال دنياه
اذا سرتَ يومًا حذَّر النمل بعضه ... مخافة جيش من مواليك يغشاه
وان كنتَ في روض تغنت طيوره ... وصاحت على الافنان يحرسك الله
وكان ابن داوودٍ له الريح خادم ... وتخدمك الايام والسعد والجاه

وقال في شكوى الزمان

فان تكن نسبتي للشرق مانعتي ... حظًا فواهًا لمجد الترك والعربِ
متى ارى النيل لا تحلو موارده ... لغير مرتهب لله مرتقبِ
اذا نطقت فقاع السجن متكأي ... وان سكتُّ فان النفس لم تطبِ

ايشتكي الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارضٍ من الذهبِ
يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله اخوان وفي الكتبِ
تركتمونا لاقوام تخالفنا .... الخ

ومن هذا يظهر ان الشاعر جندي كل ما بقلبه على طرف لسانه . ومن ذلك قوله في مكان آخر

ارى مصر والسودان والهند واحدًا بها اللورد والفيكونت يستبقان
واكبر ظني ان يومَ جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنانِ

وقوله ايضًا مشبهًا طول الليل بالاحتلال في مصر

ياساهد النجم هل للصبح من خبرِ اني اراكَ على شيءٍ من الضجرِ
اظن ليلك مذ طال المقام به كالقوم في مصر لا ينوي على سفرِ

اما شوقي بك فانه يجتنب في شعره التصريح الى هذا الحد وانما يقول مثلاً في مثل هذا المقام

عباس انك للبلاد ولم يعدْ في مصر غيرك من يقولُ بلادي

وذلك لان مقامه من سمو الامير يوجب عليه هذا الحذر

وقال في وصف الشعر

ضعتَ بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
حملوك العناء من حب ليلى وسليمى ووقفة الاطلالِ
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهنَّ الليالي
واذا ما سموا بقدرك يومًا اسكنوك الرحال فوق الجمالِ
آنَ يا شعرُ ان نفكَّ قيودًا قيدتنا بها دعاة المحالِ
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشمُّ ريح الشمال

ومن قوله في بعض الجرائد اليومية ولا نظنه قاله فيها كلها

جرائدٌ ما خُطَّ حرفٌ بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لاربابها كانها اول ابريل

والغريب بعد هذا ان جميع الجرائد اليومية قرظت ديوان الحافظ احسن تقريظ. فكانَ لسان حالها عند التقريظ كان يقول : كل شيءٍ من الشاعر الظريف مقبول -

وقال يخاطب ثوبه ويذكر اكرام الناس لاصحاب الطيالس وفيه سهام حادة

يا ردائي جعلتني عند قومي فوق ما اشتهي وفوق الرجاء
ان قومي تروقهم جدة الثو ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب باهر لونه وبين حذاء
قعد الفضلُ بي وقمتَ بعزي بين صحبي جزيتَ كل الجزاء

وقال في وصف الشمس

نظر ابراهام فيها نظرة فارى الشك وما ضلّ اليقين
قال ذا ربي فلما افلتْ قال اني لا احب الآفلين
ودعا القوم الى خالقها واتى القوم بسلطان مبين

ومنها يريد الشمس

صدقوا لكنهم ما علموا انها خلقٌ سيبلى بالسنين
الهٌ لم ينزه ذاته عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما في آيها من معانٍ لمعت للعارفين
حكمةٌ بالغة قد مثلت قدرة الله لقوم عافلين

وله في مخاطبة الثرى على طريقة ابي العلاء ابيات في غاية الجودة ومنها

ايهذا الثرى الى مَ التمادي بعد هذا أ انت غرثان صادي
انتَ تروى من مدمعٍ كل يوم وتغذّى من هذه الاجساد
قد جعلتَ الانام زادك في الده رِ وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة وردًا وتزود من النجوم بزاد
لستُ ادعوكَ بالتراب ولكن بقدود الملاح والاجياد
بخدود الحسانِ بالاعين النجـ ـل بتلك القلوب والاكباد
لم تلدنا حواء الا لنشقى ليتها عاطل من الاولاد
سلمتنا الى صروف زمان ثم لم توصها بحفظ الوداد

هذا ما اكتفينا بنقله من هذا الديوان الذي نشر فضل صاحبه بين الفضلاء والادباء كما نشر حسامه فضله بين الاقران . ولذلك فاننا نرى احسن ثناء يوجه الى حافظ افندي ابرهيم تلقيبه بصاحب السيف والقلم .